الكتاب ضرورة توفير أموال لاشغال الري والتجفيف في الاراضي . وقال دراموند شيلدز تحت ذلك العرض : « لا بد من عمل شيء للطبقة الدنيا من العرب الريفيين الذين اصبحوا بلا ارض ، والذين أصبح قسم منهم في ذلك الوضع نتيجة لقيام اليهود بشراء الارض لصالحهم وانتفاعهم . ولا بد بعد ذلك من توزيع الارض بين اليهود والعرب » . ولخص شيلدز رأيه في الكتاب الابيض بهذه العبارة: « لقد قدم الكتاب الابيض كما يوسع المرء ان يتوقع من وثيقة خرجت من بين يدي سيدني ويب ، بيانا منصفا ومتوازنا بشأن الوضع في فلسطين » .

وأعلن الكتاب الابيض : « لقد حاول البعض أن يجادل ، تعزيزا للادعاءات الصهيونية ، بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي المحور الرئيسي لصك الانتداب ، وبأن الفقرات التي تستهدف ضمان مصالح غير اليهود ، انما هي اضافات ثانوية تقيد ، الى حد ما ، ما يزعم بأنه الغرض الاساسي الذي وضع صك الانتداب لتحقيقه . ان حكومة جلالته كانت ولا تزال تعتبر هذا المفهوم لصك الانتداب خطأ كليا » .

كان الكتاب الابيض بالنسبة للصهيونيين كفرا ولعنة . فبالنسبة اليهم ان السياسة الوحيدة التي يقبلونها على انها منصفة ومتوازنة ، تعني الانصياع غير المشروط لمطالبهم . ولهذا كان رد فعلهم على الكتاب الابيض عدائيا ، وتصدت له المنظمة الصهيونية العالمية على امتداد فروعها ، بالنقد والهجوم . ونظمت تظاهرات ضد القنصليات البريطانية في كل مكان بدءا من وارسو وانتهاء بشيكاجو . وانهمرت على الحكومة برقيات الشجب ، في غضون ساعات قلائل من نشر الكتاب الابيض ، الامر الذي يدل على ان مرسليها لم يكونوا حتا قد تمكنوا من قراءة الوثيقة التي عاجلوا بادانتها .

وكانت هناك ايضا حملة صحافية كثيفة منظمة ، وانضمت المؤسسة البريطانية الى الحملة ، رغبة في اصطياد الفرصة واستغلال اية مناسبة او مسألة يمكن ان تسيء الى حزب العمال وتشوه صورته . وكان الخط الذي قامت عليه الحملة « ان بريطانيا لا يجوز ان تحنث بكلمتها » . وكانت المؤسسة البريطانية قد حنثت بكلمتها اذ الحقت مراسلات مكماهون باتفاقية سايكس — بيكو السرية لتقسيم الشرق الاوسط ، الى مناطق تخضع للادارتين البريطانية والفرنسية ، ثم اتبعت المراسلات بتصريح بلفور ، ووقفت الان تعارض الكتاب الابيض الذي هو اول مسعى بريطاني لمعالجة عواقب هذه الارتدادات وحنث العهود ، وهكذا حملت مطالبة « المؤسسة » بالتزام بريطانيا بكلمتها ، كل معاني الرياء والنفاق .

وتعرض اعضاء البرلمان لضغوطات كثيفة من جانب الصهيونيين . وعندما طرح الكتاب الابيض للنقاش في البرلمان في السابع عشر من نوفمبر — تشرين الثاني ، وقف سيمور كوكس ليكشف كيف ان « داغار » الصحيفة الصهيونية الصادرة في فلسطين كانت تعمم على أعضاء البرلمان ، وتحثهم على « فتح أبواب شرق الاردن كليا أمام العرب الذين لا يملكون أراض ، وأمام استيطان اليهود » (انظر هانزارد ، المجلد الرقم ٢٤٥ ، الاعمدة ١٦٣ — ١٦٧) ، وكان ما كشفه سيمور كوكس غيضا من فيض الضغط الصهيوني على النواب . وانطلقت مدفعية الخطابة الصهيونية في حومة الجدال . ووقف لويد جورج يرغي ويزبد ويوجه أقسى توبيخ للحكومة ، لكن خطابه المنمق كان فارغا من أي مضمون ، وقام بدحضه وتعريته دراموند شيلدز في خطاب باهر . (أنظر هانزارد [سجلات مجلس العموم]، الاعمدة ٨٨ — ١٠٤). والواقع ان النقاش في مجمله لم تظهر فيه أية حجج مقنعة ضد الكتاب الابيض .

الا أن رامزي مكدونالد لم يكن من ذلك الطراز من رؤساء الوزارة الذي يقف الى جانب وزيره المعني ليشد أزره ، وكانت هناك بالاضافة الى هذا تطورات أخرى تجري وراء الكواليس . كان النجم الصاعد في حزب العمال في ذلك الحين البروفسور هارولد لاسكي ، الذي كانت تربطه علاقات وثيقة بقادة الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة . وقام لاسكي بمقابلة ارثر هندرسون وزير الخارجية سرا ، ثم قابل مكدونالد الذي طلب اليه « أن يؤكد لاصدقائه الامريكيين ان الحكومة البريطانية سوف تبذل كل ما في طاقتها لتتصرف بطريقة منصفة » . لكن لاسكي رفض ان يفعل هذا « ما لم يقم مكدونالد بعزل سيدني ويب ، او ان يسحب الكتاب الابيض »(١٦).

والذي حدث ان الاشراف على السياسة المتعلقة بفلسطين نقل من يد سيدني ويب ، الى لجنة من